**التعريف بالأنثروبولوجيا الجنائية: 05 نقاط**

جرى العمل على أن يطلق على هذا العلم اسم علم طبائع المجرم أو فرع طبائع الإجرام، ومضمون هذا العلم هو دراسة المظاهر العضوية والنفسية للمجرمين سواء ما يتعلق بخصائصهم البدنية الظاهرة، أو بأجهزة جسمهم الداخلية، أو بغرائزهم، أو بعواطفهم، وعلاقة هذه المظاهر والخصائص والأجهزة بظاهرة الجريمة. وتتم دراسة الإنسان المجرم بواسطة فحص حالته الجسمانية وحالته النفسية.

كما تشير هنا الدراسات إلى أنه كلما تطرقنا إلى علم الأنثروبولوجيا الجنائية إلا وتطرقنا إلى العالم الايطالي لمبروزو Lombroso رائد المدرسة الوضعية الايطالية والمؤسس للعديد من العلوم الجنائية مثل علم الإجرام، علم الاجتماع الجنائي و بالخصوص الأنثروبولوجيا.

والأنثروبولوجيا الجنائية هي حقل من حقول علم الإنسان –الأنثروبولوجيا- وقد اختلف العلماء والباحثون في تحديد هذا الحقل من العلوم فحدده البعض بأنه يختص بدراسة التاريخ الطبيعي للإنسان المجرم، وذلك من حيث تكوينه العضوي والتشريحي، والفيزيولوجي والعقلي، وقد استعان هذا العلم بقواعد المنهج العلمي من ملاحظة علمية مقصودة، إلى فحوص مخبرية وتشريحية تناولت أجسام المجرمين وعقولهم، سواء من وجد منهم في السجون أوالمؤسسات الإصلاحية ومستشفيات الأمراض العقلية.

ويظهر جليا هنا أن الأنثروبولوجيا الجنائية قد اهتمت بالمجرم وحاولت تفسير السلوكيات الإجرامية انطلاقا من المكونات الفيزيولوجية للمجرم مبعدة في ذلك كل ما له علاقة بالجانب الثقافي للأفراد هذا بالإضافة إلى العلاقة العضوية بين علم النفس والأنثروبولوجيا الجنائية، وعليه فالأنثروبولوجيا الجنائية لا تعطي تفسيرا لظاهرة الإجرام بوجه عام، ولكنها تفسر الأسباب التي تدفع الجرم في حالة معينة إلى ارتكاب جريمة بعينها.

وقد قام رواد علم الأنثروبولوجيا الجنائية بالعديد من الدراسات الميدانية على مستوى بعض الجماعات والقبائل لفهم طبيعة السلوك العدواني، وخاصة تلك الدراسات الخاصة بآكلي لحم البشر عند بعض القبائل.

وفي الواقع فإن ظهور هذا العلم ليس سوى امتداد للنزعة التطورية التي طغت على الساحة العلمية حيث بدأت فروع عملية متخصصة تنشق عن علم الإنسان أهمها علم الأنثروبولوجيا الجنائية "وهو حقل جديد يختص بدراسة الإنسان المجرم من حيث تكوينه العضوي والتشريحي والفيزيولوجي والعقلي، وقد استعان هذا العلم بقواعد المنهج العلمي من ملاحظة علمية، إلى فحوص مختبرية وتشريحية ، إلى دراسات اجتماعية ونفسية."

وقد إمتد هذا العلم _ الأنثروبولوجيا الجنائية_ ليشمل بالدراسة جميع الجوانب البيولوجية والتشريحية والفيزيولوجية والنفسية للإنسان المجرم إلى كل ما من شأنه أن يجعل من الإنسان مجرما، سواء كان الأمر يعود إلى الأسباب ذاتية أو أسباب غير ذاتية، فهو علم يبحث في الأسباب متكاملة وفي كيفية معالجتها والوقاية منها

وقد عرف الفقه القديم والحديث على السواء دراسات مهمة وكتابات عديدة في الأنثروبولوجيا الجنائية تدل على أهميته التطبيقية.

ويعود ظهور الأنثروبولوجيا الجنائية إلى ما قبل لومبروزو Lombroso " هو من كان له الفضل السبق في إظهارها كعلم " فقد كان لأبحاث التي قام بها لومبروزو هو مؤسس المدرسة الوضعية الايطالية فضل السبق في إظهار علم البيولوجيا الجنائية والأنثروبولوجيا الجنائية"

وقد كانت معظم الدراسات الأنثروبولوجية الجنائية التي سبقت لومبروزو تفتقر إلى الطابع العلمي المنهجي حيث ظهر ما يعرف بعلم فراسة الدماغ على يد العالم الفرنسي "جوزيف جال" وبدأ هذا العلم يشق طريقه إلى أوروبا وأمريكا، وتتمثل دراسات جال في كشف العلاقة بين الجمجمة والوظائف والملكات العقلية والنفسية.

ولكن يبدو أن رؤوس المجرمين وجماجمهم بقيت تستهوي الباحثين في الجريمة لكشف أسبابها وعوامل الإجرام الذاتية فاهتم كل من "مايو" و" برتشارد" و " جروهمان" بالجنون الأخلاقي، واهتم " دالي" بالجنون العقلي، ودرس " لوكاس" الطبيعة الإجرامية ورد الإجرام إلى الوراثة، ودرس "موريل" الجريمة ووصفها كظاهرة إنحطاطية تظهر في الفرد وعائلته، تعود إلى صفات انحطاط والمجاعات والفقر، وعدم ملائمة المهنة، والتدهور الأخلاقي، وفساد الأسرة، وضعف الضبط التعليمي.

"ويشار في الغالب إلى العالم بروكا كمؤسس لعلم الأجناس البشرية الحديث ويعود له الفضل في إنشاء أول جمعية انثروبولوجية في مدينة باريس عام 1859 وقد ساعد ذلك على قيام أولى الدراسات الأنثروبولوجية التي تناولت دراسة وتشريح جماجم المجرمين وكانت هذه الدراسات الرائدة بداية لظهور علم الأنثروبولوجيا الجنائية في معناه العلمي الصحيح وساعد على ظهور هذا العلم بوجه خاص تلك الدراسات التشريحية الجنائية التي اضطلع بها جراحو السجون الانجليزية مثل الطبيب ونسلو وماسهيو وتمسون ولسون وكانت جميع دراسات هؤلاء انثروبولوجية جنائية تناولت البحث عن نموذجية أنثروبولوجية للمجرمّ.

يتفق معظم الباحثين في علم الإجرام والعلوم الجنائية على أن "علم الإجرام الحديث بدأ بظهور لومبروزو ومدرسته الأنثروبولوجية الايطالية ويشار إلى هذه المدرسة أحيانا بالمدرسة الوضعية لاعتمادها على المنهج الوضعي في دراسة المجرم دراسة عملية منظمة.

**علاقتها بالعلوم الاجتماعية الأخرى: 7 نقاط**

**1/علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الإجرام:**

يهتم علم الأنثروبولوجيا الجنائية بدراسة الإنسان المجرم من أجل بيان العوامل الإجرامية الفردية للجريمة. وتتم دراسة الإنسان المجرم بواسطة فحص حالته الجسمانية وحالته النفسية. ويتم فحص الإنسان المجرم من وجهتين من وجهة أبعاد وأطوال الأعضاء الخارجية ودرجة التناسب بينها، إذ أن اختلال التناسب بين أبعاد وأطوال أعضاء القسم الظاهرية كثيرا ما يكشف عن اختلال في الأحوال الداخلية، إذ يتم دراسة الأجهزة الداخلية

للجسم كالجهاز الدموي والجهاز الهضمي والجهاز البولي والتناسلي والجهاز العصبي، إذ أنه كثيرا ما تكون الأمراض أو العيوب التي تصيب هذه الأجهزة سببا مباشرا للنزعة الإجرامية أو حتى على الأقل عوامل منبهة لهذه النزعة.

كما يتم فحص نفس الإنسان المجرم من الناحية الذهنية فيها وتشمل طريقة الوعي أوالإدراك أولا ثم طريقة التفكير فطريقة التصور، وهو ما يسمى إجمالا بالذكاء هذا بالإضافة إلى الناحية الشعورية والناحية الإرادية، إذ أن النفس الإنسانية يتميز صاحبها بأنه يفكر ويشعر ويريد.

وهكذا يمكن القول بان علم الأنثروبولوجيا الجنائية يهتم بدراسة دور الجوانب العضوية والنفسية للإنسان وأثرها في دفعه نحو الجريمة، وهو بهذا المعنى وثيق الصلة بعلم الإجرام إذ أن هذا الأخير يأخذ في إعتيباره بكافة النتائج التي يتوصل إليها علم الأنثروبولوجيا الجنائية، على أن موضوعات هذا الأخير تعد في الغالب من أهم موضوعات علم الإجرام، إذ أن دراسة أثر الجوانب العضوية والنفسية على اقتراف السلوك الإجرامي وتحديد علاقة السببية بينها تعد أهم دراسات علم الإجرام.

**2/علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الأعضاء:**

إن أول من ربط بين الملامح الخارجية للأفراد و سلوكاتهم في علاقة سببية وأبرز الصلة المتينة الموجودة بين الطب والجريمة هو سزار لومبروزو حين نشر سنة 1874 مؤلفه الإنسان المجرم واليه يرجع الفضل في تأسيس علم الأنثروبولوجيا الجنائي.

ومما زاد الناس ثقة به وبتقاريره العلمية أنه كان طبيبا شرعيا ومدرسا. كان جادا في أعماله لا ينشر نتائجه إلا بعد إجراء التجارب والفحوص المعمقة على مرضاه المجرمين ومقارنتها بنتائج مستخلصة من فحوص أفراد أسوياء.

لم يكن لومبروزو سباقا لإقحام علم الطب وبالأحرى علم الأعضاء في تفسير ظاهرة الإجرام لقد سبقه في هذا الميدان علماء أمثال ديلابورتا الايطالي ولافاتير الفرنسي في القرن الثامن عشر في دراسة ملامح الوجه وربطها بالجريمة، ومن بعدها جوزيف قال النمساوي في بداية القرن التاسع عشر، الذي ركز بحوثه على أشكال الجمجمة.

**3/ الأنثروبولوجيا وعلاقتها بعلم الفسيولوجيا والبيولوجيا:**

إن طباع الأشخاص مرتبطة بجهازهم الفسيولوجي ومفرازته الباطنية. وقد يصادف أن يقترن طبع الشخص بتواجد علامة خارجية في جسمه فيجوز القول إن تلك العلامة عي المعبرة عن سلوكه إلا أن عدمها لا يمنع من التنبؤ عن سلوكه الاجتماعي بالنظر إلى معطيات فسيولوجية طالما إن طبع الأشخاص هو مرتبط أولا و قبل كل شيء بإفرازات الأعضاء والغدد. أما الملامح الخارجية فما هي إلا مضاعفات لتلك الإفرازات لا غير.

إن الكثير من الأمراض، كما يلاحظون مثل مرض السكري والكبد والدم وتنعكس على وجه المريض إلا أن هذا لا يسمح بالقول إن بروز تلك العلامة على وجه الشخص هي التي دفعت به إلى ارتكاب الجريمة، عند الاقتضاء، وإنما يمكن القول فقط أن الظاهرة المتسببة في بروز تلك العلامة هي نفس الظاهرة التي جعلت من المريض شخصا عصبيا سريع الغضب مهيئا للجريمة أكثر من غيره.

**4/علم النفس- علم الأمراض العقلية- علم التحليل النفسي**

**علم النفس:**

لم يهتم علماء النفس في أول المطاف بالسلوك الإجرامي للأشخاص بل كان موضوع بحثهم بالدرجة الأولى دراسة تفاعل الشخص العادي مع محيطه البشري دون أية فكرة مسبقة، أما الشخص غير العادي فكان لا يهمهم ويوكلون أمره إلى طبيب الأمراض العقلية.

**5/علم الاجتماع:**

لا شك أن الجريمة هي ظاهرة اجتماعية لا يمكن تصورها إلا داخل مجتمع، فهي عمل يصدر من شخص ضد نظام المجتمع الذي يعيش فيه. و يعني ذلك تعبير عن فشل المجرم في التكيف مع مجتمعه، وتعبير كذلك عن فشل المجتمع في تهيئته وإعطائه القدرة الاندماج فيه.

انطلاقا من هذا التعريف يصبح من الضروري على الباحث في أسباب الحقيقية للجريمة أن يرد الواقعة إلى المحيط البشري الذي حدثت فيه فهو يفسر جانبا كبيرا منها.

فكرة تفسير الجريمة بعوامل اجتماعية كانت في بدايتها مجرد رد فعل على أراء لمبروزو وللحد من غلوها وتطرفها. ثم اتسعت وانتشرت عبر العالم فتبناها علماء كبار أمثال: دوركايم وطارد في فرنسا وسيلين وسوذرنلد في أمريكا وغيرهم في ايطاليا وألمانيا.

**النظرية البايولوجية الجنائية لدى لمبروزو: 08**

يرى أنصار هذه المدرسة أن السلوك الإنساني تقرره قوى خارجة عن السيطرة والوعي الفردي وهكذا فالمجرم شخص يختلف عن الأسوياء والإقرار بالقضاء على العقوبة كونها غير مجدية في سببية السلوك الخارج عن السيطرة وهذه الأسباب لابد من معالجتها أوإزالتها وفيما يلي ابرز الباحثين في علم الجريمة منهم:

- **سيزار لومبروزو( Cesare Lombroso)**

يعتبر **سيزار لومبروزو** من رواد النظريات البيولوجية المفسرة للسلوك الإجرامي ،عمل في الجيش ايطالي طبيبا ثم امضي بقية حياته أستاذا في جامعة نورين(Turin) حيث قام بالعديد من البحوث والدراسات إلا أن شهرته جاءت بعد نشره لكتاب الرجل المجرم، كما يعد أول عالم إجرام يضع نظرية متكاملة تفسر أسباب الجريمة والسلوك الإجرامي.

فحاول لومبروزو تفسير السلوك الإجرامي نظرا لخبرته أثناء عمله بالجيش الايطالي معتمدا على أسس فيزيقية حيث جاء بمصطلح الارتداد أو التخلف ،كما أشار إلى وجود علاقة بين الجنون والجريمة إلى جانب وجود بعض الصفات الجسدية والعقلية منذ الولادة ،فالمجرم عند لومبروزو يتصف بالتخلف أو الارتداد في سلم التطور أي انه اقرب إلى التوحش والبدائية،حيث وضع نمطا بيولوجيا لشخصية المجرم والتي تتحدد في مجموعة من الصفات والخصائص البيولوجية والتكوينية من أبرزها عدم انتظام شكل الجمجمة، كبر الفكين، بروز عظام الخد ،شذوذ تركيب الآسنان ،انحدار الجبهة وكبر حجم الأنف والشعر الخفيف الاجعد، وشم على الجسد إلى غير ذالك من الصفات، وقد توصل إلى هذه الصفات الجسدية بعد أن فحص 383 جمجمة لمجرمين متوفين و6000 من المجرمين الأحياء ،خاصة بعد تشريحه لمجرم وقاطع الطريق يسمى **(فيلالا)**.

حيث وجد تجويفا في قاع الجمجمة شبيها بذالك الموجود عند القردة وفحص مجرما أخر يسمى **(فرني** )الذي قتل حولي 20 امرأة و كان يشرب من دماء ضحاياه وفحص أيضا الجندي **(ميديا)** الذي قتل 8 من رؤسائه وزملائه علما بأنه لم يكن مجرما من قبل ،وبعد قتل زملائه غاب عن الوعي 12 ساعة وعندما استيقظ لم يتذكر شيئا.

ومنه ربط "لومبروزو" الجريمة بالصرع حيث وجد أن الجندي يملك اشد الصفات الحيوانية توحشا كما توصل إلى أن المجرمين مولودين بصفات إجرامية ولا سبيل لإصلاحهم إلا بالعلاج،حيث كان يعتبر المجرمين أشخاصا مشوهين أو يعانون العجز او القصور من الوجهة البيولوجية،حيث ميز "لومبروزو" بين خمسة نماذج من المجرمين:

**-المجرم بالميلاد:** وميزه بوجود الملامح و السيمات الارتدادية في التكوين الجسمي ويفحص هذه الصفات كما يلي: اختلاف حجم وشكل الرأس مقارنة بالنمط الشائع في المنطقة التي ينتمي إليها، كبر زائد في أبعاد الكف وعظام الوجنتين وتشوهات في العينين وكبر زائد أو صغر غير عادي في حجم الأذنين أو بروزهما من الرأس بشكل يماثل الشمبانزي وكثرة الوشم إلى غير ذالك من الصفات.

إلى جانب ذالك نجد بعض الصفات النفسية والعقلية والتي تتمثل في عنف المزاج وانعدام وضعف الإحساس بالألم، الغرور والاندفاع والتهور وعدم المبالاة إلى غير ذالك من الصفات، أي أن المجرم في هذه الحالة له بعض الصفات الوراثية الإجرامية التي اكتسبها الشخص بولادته.

**-المجرم المجنون**: وهو مصاب بنقص عقلي يفقده ملكة التمييز بين الخير والشر، وهو يشبه في تصرفاته المجرم بالفطرة، ولذلك ينبغي أن يوضع في مصحة عقلية حتى تتقي شره ويعالج من مرضه، فهو يربط بين هذا النمط من المجرمين و الأمراض العقلية وينصح بعلاجهم أو التخلص منهم.

**-المجرم بالعادة:**

يولد هذا المجرم دون أن تتوافر لديه صفات المجرم بالميلاد وهو مصاب بضعف خلقي، ويعتاد على ارتكاب جرائمه بتأثير ظروف اجتماعية تغرس فيه النـزعة إلى ارتكاب الجريمة، ومن أهم هذه الظروف اتصاله بالمسجونين، وإدمانه على المخدرات والخمور، والبطالة، الأمر الذي يكسبه استعداداً إجراميا..

**– المجرم بالصدفة:**

ويتميز هذا المجرم بعدم وجود ميل أصيل إلى الإجرام، كما أنه لا يسعى وراء الجريمة، وإنما يخضع بصورة تلقائية وقوية لمجموعة من المؤثرات الخارجية الطارئة فيعجز عن تقدير نتائج وعواقب فعله. كان يمشي شخص فيجد باب منزل مفتوح فيرى دراجة نارية، فالفضول هنا يدفعه للدخول وتجريبها ثم سرقة الدراجة بعد ذالك كونها أعجبته. في هذه الحالة يمكننا القول بان المجرم لم تكن له نية سابقة للسرقة أو أية ميول أو سوابق إجرامية وإنما حدث صدفة.

**–المجرم بالعاطفة :**

لا يرتكب المجرم بالعاطفة جريمته بسبب تكوين وراثي خاص أو ضعف في قواه العقلية وإنما يرجع سلوكه الإجرامي إلى أسباب أخرى عاطفية مثل: الحب، والغضب والحقد، والغيرة والحماس، والدفاع عن الشرف، ويتميز المجرم في هذه الحالة بشعور رهف وحساسية مفرطة لا يمكن مقاومتها، وبالتالي يندفع إلى ارتكاب الجريمة تحت تأثير الثورة النفسية والإيمان المطلق بعقيدته.

كأن يمشي شخص ما في الشارع يرى شخص ما يتحرش بأخته أو زوجته أو خطيبته أو إحدى قريبته ،فلا يستطيع هذا الشخص تجاهل الأمر وبالتالي يذهب إلى المجرم للدفاع عن شرفه وبالتالي قد يؤدي إلى قتل المتحرش وبالتالي إدانته.

فأغلب جرائم المجرم بالعاطفة هي جرائم الاعتداء على الأشخاص، و الجرائم السياسية، وهذا النوع من المجرمين من ميزتهم أنهم سريعي الندم على الجرائم التي يرتكبونها، ويرى "لمبروزو" بعدم فرض عقوبة على هذا النمط من المجرمين كي لا نفسدهم ونجعل منهم مجرمين بالعادة.